مقدمة الكتاب

يشهد القرن ٢١ ظاهرة **"التشيخ السكاني"** Population aging أو ثورة الشيخوخة Aging revolution ، ويقصد بها زيادة نسبة كبار السن في العالم، بسبب قلة الإخصاب ونقص معدلات الإنجاب، وزيادة متوسطات الأعمار من حوالي ٤٦ سنة عام ١٩٥٠م إلى حوالي ٦٨ سنة عام ٢٠٠٠ ، ومن المتوقع أن تصل متوسطات الأعمار إلى ٧٦سنة عام ٢٠٥٠، وقد تصل إلى مائة سنة أو أكثر في بعض المجتمعات خلال الألفية الثالثة [١] (Qualla & Abeles,2000).

وقد أدت زيادة الأعمار ونقص المواليد إلى زيادة نسبة كبار السن من ٧,٩٪ من السكان سنة ١٩٥٠م إلى ١٣,٥٪ سنة ٢٠٠٠م ، ومن المتوقع أن تصل النسبة إلى ٢٤,٤٪ سنة ٢٠٥٠[٢] (خليفة ومخلوف ٢٠٠١م) .

وظاهرة "التشيخ السكاني" في المجتمعات المتقدمة أكبر من ظاهرة التشيخ السكاني في المجتمعات النامية ، حيث تشير إحصائيات الأمم المتحدة

---

(١) تشير الدراسات إلى أن متوسطات الأعمار في الدول العربية كانت حوالي ٤١ سنة عام ١٩٥٠، زادت إلى ٦٢ سنة عام ٢٠٠٠م ، ومن المتوقع أن تصل إلى ٧٠ سنة عام ٢٠٥٠م، وقد تصل إلى ٧٥ سنة في بعض الدول العربية في القرن الحادي والعشرين .

(٢) تشير الدراسات إلى أن متوسطات الأعمار في الولايات المتحدة الأمريكية كانت ٤٦ سنة للذكور و٤٨ سنة للإناث سنة ١٩٥٠م، زادت إلى ٧٣ سنة للذكور و٧٨ سنة للإناث سنة ١٩٨٠م. وكانت نسبة عدد كبار السن في أمريكا ١: ٩ في إحصاء ١٩٨٠ و ١ : ٨ في إحصاء ٢٠٠٠، ومن المتوقع أن تصل إلى ١: ٦ سنة ٢٠٢٠ و١: ٥ من السكان سنة ٢٠٥٠. لمزيد من المعلومات يرجع إلى:

Duvall, E.M8. Miner, B.C.(1985) **Marriage and Family development.** New York: Harper Collins Publ.

obeikandl.com

إلى أن نسبة كبار السن في المجتمعات المتقدمة كانت ١٢٪ سنة ١٩٥٠م ، زادت إلى ١٨,٨٪ سنة ٢٠٠٠م ، ومن المتوقع أن تصل إلى ٣٣٪ سنة ٢٠٥٠، وقد تصل في بعض هذه المجتمعات إلى ٤٠٪ من السكان خلال النصف الأول من القرن الواحد والعشرين. أما في المجتمعات النامية فكانت نسبة كبار السن ٦٪ سنة ١٩٥٠م، زادت إلى ٨٪ سنة ٢٠٠٠م، ومن المتوقع أن تصل إلى ٢١٪ سنة ٢٠٥٠م، بسبب تحسين الرعاية الصحية، والتقدم في علاج الأمراض في هذه المجتمعات (خليفة ومخلوف، ٢٠٠١م).

وتسير المجتمعات العربية والإسلامية في طريق التشيخ السكاني بخطوات سريعة، وسوف تتحول في النصف الأول من القرن الحادي والعشرين من **مجتمعات فتية** Young Population: نسبة صغار السن (دون ١٥سنة) فيها أكبر من نسبة كبار السن (من ٦٠ فأكثر) ، إلى **مجتمعات مسنة** " Old Population " : نسبة كبار السن فيها أكبر من نسبة صغار السن، حيث تشير إحصاءات السكان إلى أن نسبة صغار السن آخذة في التناقص، ونسبة كبار السن آخذة في التزايد، فقد كانت نسبة صغار السن ٣٨٪ سنة ١٩٥٠م، نقصت إلى ٣٣٪ سنة ٢٠٠٠م، ومن المتوقع أن تصل إلى ٢٠٪ سنة ٢٠٥٠م، أما نسبة كبار السن فكانت ٦٪ سنة ١٩٥٠م، زادت إلى ٨٪ سنة ٢٠٠٠م، ومن المتوقع أن تصل إلى ٢١٪ سنة ٢٠٥٠م (خليفة ومخلوف، ٢٠٠١) .

ونخلص من هذا العرض السريع لظاهرة التشيخ السكاني إلى ثلاثة أمور مهمة نلخصها في الآتي:

١- يصاحب "ظاهرة التشيخ السكاني" في المجتمعات العربية والإسلامية "**ظاهرة التشيخ في الأسرة العربية والمسلمة**" -إن جاز هذا التعبير- ونقصد به زيادة عدد الأسر التي يوجد فيها كبير في السن . فمن المتوقع أن يعيش كبير السن في أسرته مع أبنائه وأحفاده لسنوات طويلة .

٢- زيادة عدد الأسر العربية والمسلمة التي تربي صغار السن من الأبناء والأحفاد مع كبار السن من الآباء والأجداد . وسوف ينقص عدد الأسر التي تربي الصغار وليس فيها كبير في السن .

٣- سوف ترعى الأسرة المسلمة والعربية كبار السن لمدة طويلة ، فقد يعيش كثير من الآباء والأجداد في كنف الأبناء أكثر من ٢٠ عامًا ، لاسيما المعمرين منهم، وسوف تنشغل بعض الأسر برعاية كبار السن في القرن الحادي والعشرين لمدة قد تزيد على مدة انشغالها بتنشئة الأطفال والمراهقين(١).

أما عن الاهتمام العالمي بكبار السن فقد بدأ في النصف الثاني من القرن العشرين عندما دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٧٨م إلى عقد جمعية عمومية لمناقشة قضايا الشيخوخة، ومتطلبات رعاية المسنين سنة ١٩٨٢م ، ووضعت خطة عمل فينا الدولية للشيخوخة في السنة نفسها واختارت يوم ١/ ١٠/ ١٩٩٢م يومًا عالميًا للمسنين، وسنة ١٩٩٩ سنة عالمية لهم، وعُقدت العديد من المؤتمرات والندوات وورش العمل حول رعاية المسنين، وكان أبرزها **"الندوة الفقهية الثانية عشرة حول حقوق المسنين من منظور إسلامي"** ، والتي عقدت في الكويت في الفترة من ١٨-٢١ أكتوبر سنة ١٩٩٨م ، والتي خلصت إلى **إعلان الكويت لحقوق المسنين**.

أما اهتمام العالم العربي والإسلامي برعاية المسنين ، فقد بدأ من حوالي ١٥٠٠ سنة خلت ، عندما أعلن الإسلام حقوق المسنين في آيات قرآنية

---

(١) تستمر مسئولية الآباء في تربية الأبناء -إلى أن يرشد الأبناء ، ويتخرجوا من معاهد التعليم، ويحصلوا على عمل، ويتزوجوا- حوالي من ٢٠ إلى ٢٥ سنة ، أما مسئولية الأبناء في رعاية الآباء فقد تستغرق أكثر من ٣٠ سنة، لاسيما عندما يعمر الآباء إلى مائة سنة أو يزيد .

وأحاديث نبوية شريفة ، تُلزم الأبناء برعاية آبائهم لاسيما في مرحلة الشيخوخة المتأخرة التي فيها الوهن النفسي والضعف الجسمي. قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء].

كما اهتم علماء المسلمين في الماضي بعلم الشيخوخة وأسماه حنين بن إسحاق "طب الشيخوخة" وأطلق عليه الرازي وابن سينا "تدبير المشايخ" وكتب السجستاني "رسالة عن المعمرين" تناول فيها خصائص كبار السن ومشكلاتهم ومطالب نموهم (شاذلي، ٢٠٠١ : ٦).

وزاد اهتمام المجتمعات العربية والإسلامية برعاية كبار السن في القرن الحادي والعشرين تمشيا مع الاتجاهات العالمية في رعاية المسنين، والتي دعمت دعوة الإسلام إلى تكريم كبار السن ورعايتهم وحمايتهم . فالمسلمون أولى من غيرهم في هذا المجال، ابتغاء مرضاة الله أولا ، وتجاوبا مع النزعات الإنسانية الدنيوية ثانيا .

ونتناول في هذا الكتاب رعاية كبار السن في الأسرة في ضوء الشريعة الإسلامية، وما توصل إليه علماء علم نفس النمو والصحة النفسية وعلم نفس الشيخوخة Gerontological Psychology وعلم الطب النفسي للشيخوخة Gerontological psychiatry وعلم النفس الإكلينيكي للشيخوخة Clinical geropsychology، فنعرض في الباب الأول مرحلة كبر السن وخصائصها الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية، ومطالب النمو فيها، وفي الباب الثاني معاملة كبار السن في الأسرة .